



سلام الله عليك يا مصر ..

لقد عرف العالم قدرك، وقوتك، فحاربوك حرباً باردة في ثورتك .. لأنهم يعرفون حجمك وزنك في العالم العربي والإسلامي وأهميتك لبلاد الشام خاصة ..

سلام الله عليك يا مصر .. أسباب وأيام عاشهها العالم كله، مشدوداً إليك، يتربّع الوضع لديك بحلوه ومره، مشدوداً إليك وهو لا يدرى أينك أم يضحك لما يحدث فيك من التقلبات ومن الأحداث المتتسارعة..

سلام الله عليك يا مصر .. لقد جعلك النظام السابق وما قبله دولة لا مكان لها .. وأن لك أن تعودي إلى مكانك العظيمة، وإلى وضعك الطبيعي بالنسبة إلى العالم العربي والعالم الإسلامي..

سلام الله عليك يا مصر .. ملابين البشر، تسمروا أمام الشاشة سواء كانوا على البر أو في البحر أو الجو، يتبعون لحظة النطق باسم الرئيس المصري الأول ما بعد الثورة..

سلام الله عليك يا مصر، فقد استنفرت كل مراكز الدراسات ووسائل الإعلام وأبنية المخابرات في بقاع الأرض كلها .. تتبع أمر استقرارك ونهضتك وعافيتك من مرضك طوال السنين الماضية .. وتتابع باهتمام وحرص شديد كيف ستخرجين من أزمتك؟ وترفيعين رأسك عالياً متحدية الظلم والطغاة ..

سلام الله عليك يا مصر فالطريق أمامك حافل بالشوك والعقبات والصعاب .. بل اعذرني إن قلت أنك ما زلت في بداية الطريق .. فالطريق طويل .. فكان الله في عونك !!

سلام الله عليك يا مصر .. فقد كانت ثورتك غنية بالدروس وال عبر، وعلى الثورة السورية أن تقطف منها الثمار اليابعة، وأن تبتعد عن المزالق والأخطاء التي وقعت فيها:

أولاً: إن وضوح الهدف منذ البداية أمر مهم جداً في كتابة تاريخ مستقبل الثورة، ومستقبل الأجيال القادمة، ومستقبل العالم. ونتيجة الغبش الذي تراكم على الثوار نتيجة ضياع الهدف، لدى بعضهم، وعدم وضوح الرؤية لدى البعض الآخر، انتشر وباءين:

أما الأول: فقد ضاعت معالم الثورة، واختلط لديهم الحق بالباطل لدى كثير من الثوار والمؤيدين للثورة.
أما الثاني: فقد استطاع المحسوبين على النظام الساية من الترشح للرئاسة.

وكانوا هدف الثورة الأصيل فارتموا في أحضان العبودية - وهم ثوار، فكانوا اثنا عشر مليوناً. قسم خانوا هدف الثورة الأصيل فارتموا في أحضان العبودية - وهم ثوار، فكانوا اثنا عشر مليوناً. وكانت الصدمة والكارثة أن انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

وَقْسَمُ ثَالِثٍ: وَعُدُدُهُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِلْيُوناً وَهُمُ الَّذِينَ ضَاعَتْ مَعَالِمُ الثُّورَةِ لِدِيهِمْ فَوْقُوا بِزَعْمِهِمْ عَلَى الْحَيَادِ يَنْتَظِرُونَ النَّتْيُوقَةَ فَلَمْ يَصُوْتُوا لأَحَدٍ. وَمَا دَارَ فِي خَلْدِهِمْ أَنَّ عَدَمَ تَصُوْتِهِمْ هُوَ ضَيْاعٌ لِمَصْرِ وَلِلأسْفِ الشَّدِيدِ.

ثَانِيًا: إِنَّ الْقَبْوِلَ بِأَنْصَافِ الْحَلُولِ، يَشْتَتُ مِنْ عَمَلِ الثُّوارِ وَأَهْدَافِ الثُّورَةِ، فَالَّذِينَ وَقَفُوا فِي اِنتِخَابَاتِ الرَّئِاسَةِ عَلَى الْحَيَادِ بِزَعْمِهِمْ فَلَمْ يَصُوْتُوا عَدَهُمْ كَبِيرٌ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَبْوِلَ بِأَنْصَافِ الْحَلُولِ قَاصِمَةٌ كَبِيرَةٌ لِلثُّورَةِ، فَهُؤُلَاءِ كَانُوا لَهُمْ دُورٌ كَبِيرٌ فِي تَكْثِيرِ السَّوَادِ لِلْحُرْبَةِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ حَقِيقَةَ خَرْجِهِمْ فِي الثُّورَةِ، وَطَبِيعَةَ الطَّرِيقِ الْمُؤْدِي لِلْحُرْبَةِ، وَخَطَرَ الْإِسْتِعْجَالِ لِلْخَرْجِ مِنَ النَّفْقِ الْمُظْلَمِ كَمَا كَانَ يَشْيَعُ أَصْحَابُ النَّظَامِ السَّابِقِ وَإِعْلَامُ النَّفَاقِ ..

وَلَذَا عَلَى الثُّورَةِ السُّورِيَّةِ أَنْ لَا تَسْتَعْجِلَ، وَخَاصَّةً الْمَجْلِسِ الْوَطَنِيِّ، فَهُوَ خَادِمٌ لِلثُّورَةِ وَلَيْسَ وَصِيًّا عَلَيْهَا، فَقَدْ أَدْرَكَ الثُّوارُ فِي الدَّاخِلِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ طَبِيعَةُ الطَّرِيقِ، وَحَقِيقَةُ الْخَرْجِ فِي الثُّورَةِ فَبَاعُوا أَرْوَاحَهُمْ لِلَّهِ "هِيَ لِلَّهِ، هِيَ لِلَّهِ" ..

وَلَهُذَا لَا أَنْصَافِ الْحَلُولِ فَقَدْ أَخْطَأَتِ الْثُورَةُ فِي مَصْرِ مِنْذِ الْبَدَائِيَّةِ فِي وَضْعِ يَدِهَا بِيَدِ الْجَيْشِ وَالْقِيَادَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فَسَلَمُوا أَمْرَهُمْ لِلْجَيْشِ وَلَمْ يَشَارِكُوهُمْ فِي صَنَاعَةِ الْقَرْأَرِ، فَأَصْدَرَتِ الْقِيَادَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ الْبَيَانَاتَ تَلَوَّ الْبَيَانَاتَ لِتَحْجِيمِ دُورِ الرَّئِيسِ، فَقَدْ تَسْلَمَ دُ. مُحَمَّدُ مُرسِيُّ الرَّئِاسَةِ وَقَدْ سَبَقَتْهُ الْقِيَادَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ إِلَى حلِّ الْبَرْلَمَانِ - الَّذِي اِنْتَخَبَ بِأَفْضَلِ اِنْتِخَابَاتِ نَزِيْهَةٍ عَلَى مَسْتَوِيِ الْعَالَمِ، وَالَّتِي مَدَحَهَا وَاثْنَيَ عَلَيْهَا الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ - وَوَضَعُوا إِعْلَانًا مَكْمَلًا لِلْدَسْتُورِ لِيَكُونُوا دُولَةً دَاخِلَ دُولَةً. وَقَيَّدُوا يَدِ الرَّئِيسِ حَتَّى لَا تَمْتَدِ إِلَى السُّلْطَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ.

ثَالِثًا: وَضُوحُ الْهُوَيَّةِ: اِنْطَلَقَتِ الْثُورَةُ فِي مَصْرِ وَشَارَكَ بِهَا جَمِيعُ الْأَطِيافِ مِنَ الْعُلَمَائِيِّينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ، وَكَانَ مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَخْفَ هَذِهِ الْثُورَةُ الْمَبَارَكَةُ حَدَّةَ الْعَدَاءِ بَيْنَهُمَا، وَتَشَقَّقُ قَنَوَاتٌ جَدِيدَةٌ لِلْإِلَاتِصالِ بَيْنَهُمَا، وَخَاصَّةً أَنَّ الْعُلَمَائِيِّينَ يَتَشَدَّقُونَ بِالْدِيمُقْرَاطِيَّةِ وَالْحُرْبَةِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا تَمَّ تَشْكِيلُ لَجْنَةِ تَعْدِيلِ الدَسْتُورِ بِرَئِاسَةِ الْمُسْتَشَارِ طَارِقِ الْبَشْرِيِّ لِتَعْدِيلِ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْثُوارُ مِنْ مَوَادٍ كَانَتْ سَبِيبًا فِي إِفْسَادِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْسِيَاسِيَّةِ، حَدَّثَتِ الْانْقِسَامَاتِ وَطَفَّتْ عَلَى السُّطُوحِ الْعَدَاوَةِ الْمَدْفُونَةِ بَيْنِ الصُّدُورِ، وَانْطَلَقَ الْعُلَمَائِيُّونَ فِي تَأْجِيجِ الْصَرَاعِ وَإِثْرَاءِ الْإِعْلَامِ بِشَأنِ هُوَيَّةِ مَصْرِ إِسْلَامِيَّةٍ، بِحَجَّةِ أَنَّهَا تَعَارِضُ مِبْدَأَ مَدْنِيَّةِ الدُولَةِ.

لَقَدْ بَدَ الْخَلَافُ سِيَاسِيًّا فِي ظَاهِرِهِ، وَلَكِنْ لَا تَوَجُّدُ سِيَاسَةً - مِهْمَا كَانَ نَوْعُهَا - مِنْ غَيْرِ هُوَيَّةٍ .. فَقَدْ تَحُولَ الْخَلَافُ إِلَى صَرَاعٍ لِلْهُوَيَّةِ، رَغْمَ أَنَّ الْلَجْنَةَ كَانَتْ بِهَا عُلَمَائِيِّينَ وَهُمُ الْأَكْثَرِيَّةُ وَقَبْطِيُّ، وَمَعَ ذَلِكَ اَعْتَبَرُ الْعُلَمَائِيِّينَ أَنَّ وَجُودَ إِسْلَامِيِّينَ فِي الْلَجْنَةِ جَرِيمَةً لَا تَغْفِرُ ..

إِنَّ هُوَيَّةَ الْثُورَةِ أَمْرٌ ذُو أَهمِيَّةٍ كَبِيرٌ فِي حَيَاةِهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا، وَالسَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ لِعَدَمِ تَدْخُلِ الْعَالَمِ لِإِنْقَاذِ سُورِيَا هُوَ هُويَّتها الإِسْلَامِيَّةُ السُّنَّيَّةُ، فَلَوْ كَانَتْ غَالِبَيَّةُ الشَّعْبُ السُّورِيُّ ذُو هُوَيَّةِ عُلَمَائِيَّةِ لِتَدْخُلِ الْغَربِ بِقُوَّةِ، وَمِنْذُ أَوَّلِ يَوْمٍ، وَلَكِنْ لَأَنَّ الشَّعْبَ السُّورِيَّ مُسْلِمٌ سُنِّيٌّ لَا يَتَدَخَّلُونَ، وَهَاهُمْ يَتَفَرَّجُونَ عَلَى الدَّمَاءِ وَالْمَذَاجِ وَالْمَجاَزِرِ بِلَا أَدْنَى مِبَالَةٍ يَنْتَظِرُونَ الْبَدِيلَ الْمُنَاسِبَ لَهُم ..

وَحَتَّى لَا تَقْعُدِ الْثُورَةُ الْحَبِيبَةُ فِي سُورِيَا فِي صَرَاعَاتٍ وَتَشَتَّتَتْ يَجِبُ تَوْضِيْحُ الْهُوَيَّةِ .. فَالثُّورَةُ قَامَتْ بِهَا جَمِيعُ الْأَطِيافِ الشَّعْبِ وَمُذَاهِبِهِ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَمِنَ الْجَامِعِ كَانَ يَخْرُجُ الشَّابُ التَّأَلِيُّ السُّنَّيُّ وَالْمَسِيَّحِيُّ وَالْدَرْزِيُّ وَالْعَلَوِيُّ الشَّرِيفُ، وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مُشَكَّلاً، فَجَمِيعُهُمْ كَانُوا فِي وَئَامِ وَسَلَامٍ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ، وَلَذَا يَجِبُ أَنْ لَا نَقْعُدْ فِي شَرَكٍ وَمَتَاهَاتٍ تَحْدِيدُ الْهُوَيَّةِ، فَالْهُوَيَّةُ وَاضْحَىَّ جَلِّيَّةً، فَالثُّوارُ - بِكَافَةِ طَوَافِهِمْ - يَرْفَعُونَ شَعَارَاتٍ وَاضْحَىَّ بِكُلِّ عَزَّةٍ وَكَبْرِيَّاءٍ، مُنْطَلَقَةً مِنْ هُويَّةِ الْوَطَنِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْمُسْتَظْلَلَةِ بِمَظَلَّةِ إِسْلَامِ، فِي حِينِ نَجَدْ هُنَاكَ انْطَوَاءَ وَخَجلَ - وَقَدْ يَكُونُ رَفْضًا - فِي رَفْعِ هَذِهِ الشَّعَارَاتِ مِنْ قَبْلِ الْمَجْلِسِ الْوَطَنِيِّ وَهَذَا الْأَمْرُ لَهُ خَطُورَتُهُ عَلَى مَسَارِ الثُّورَةِ فَلِيَنْتَبِهِ لَهُ الشَّرْفَاءُ وَالْوَطَنِيُّونَ مِنْ أَعْضَاءِ الْمَجْلِسِ الْوَطَنِيِّ لِهَذَا الْأَمْرِ. فَالثُّوارُ فِي الدَّاخِلِ لَنْ يَسْمَحُوا لِفَتَّةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الْعُلَمَائِيِّينَ بِالثُّورَةِ الْمُضَادَّةِ لِلثُّورَةِ، وَتَشْوِيهِ هُوَيَّةِ سُورِيَا الْعَرِيقَةِ الْمُمَتَّدَةِ عَبَرَ التَّارِيخِ ..

ومن الملفت للنظر أن جميع المظاهرات خرجت من المساجد وكان يخرج بها كما قلت سابقاً السنّي والمسحي والدرزي والعلوي الشريفي، إلا أننا لم نجد مظاهرة خرجت من المراكز الثقافية والتي كان يتم فيها التنظير والبحث والدراسات وورش العمل والحديث عن الديمقراطية والحرية.

رابعاً: سلام الله عليك يا مصر، واذكري أيام تولي سيف الدين قطز بن عبد الله المعزى الحكم، وقد كانت بلاد الشام تجتاحها الوحش التترية، ومصر مهددة بغزو تلك الوحش، مع الارتباط الداخلي السياسي والاقتصادي في مصر، وكان على سيف الدين قطز التعامل مع هذه الأوضاع السيئة فقام وجمع العلماء والأمراء في مجلس وطني " وعرفهم أن هذا الملك المنصور هذا صبي لا يحسن التدبير في مثل هذا الوقت الصعب، ولا بد من أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه كل أحد، وينتصب للجهاد في التتار، فأجابه الجميع: ليس لها غيرك".

فتم إسقاط النظام الهش وعزل الملك المنصور على ابن الملك المعز أبيك، ووحد الصفوف المختلفة، ورمي وراء ظهره كل الخلافات التي حصلت بينه وبين كبار قادة المماليك البحرية الذين فروا إلى بلاد الشام، فقربهم واستفاد من خبراتهم في محاربة الصليبيين، ولم يخاف من ظهور قوى سياسية تنقلب عليه، فقد حدد هدفه من توليه الحكم في جهاد الوحش التترية فقط .. فقد تولى السلطة من أجل الجهاد، ولم يجاهد من أجل السلطة ..

ثم سعى إلى توحيد مصر والشام رغم أن الأيوبيين في الشام كانوا يعتبرونه عدواً لهم، فأرسل إليهم الرسل لإزاحة الخلافات بينه وبينهم، فمنهم من استجاب ومنهم من وقف على الحياد ومنهم من اعترض وأنضم للتتار.

وعندما بدأ يعد العدة كانت مصر تمر بأزمة اقتصادية كبيرة، فجمع الأمراء والعلماء والقادة لمشاورتهم "فيما يعتمد عليه من أمر التتار، وأن يؤخذ من الناس ما يستعن به على جهادهم، وحضر أصحاب الرأي في دار السلطنة بقلعة الجبل، وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والقاضي بدر الدين السنجاري - قاضي الديار المصرية -، وأفاضوا الحديث، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السلام، وخلاصة ما قال: إنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألا يبقى في بيته المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوائض - أي: حزام الرجل وحزام الدابة - المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجندي على مركوبه وسلاحه، ويتساووا هم وال العامة، وأما أخذ الأموال من العامة، مع بقایا في أيدي الجندي من الأموال والآلات الفاخرة فلا يجوز".

و قبل سيف الدين قطز فتوى العز بن عبد السلام بكل هدوء، وتواضع فباع كل ما يملك وأمر الأمراء والوزراء أن يفعلوا ذلك، ففعلوا مثله.

ثم تجهز والتقي بالوحش التترية خارج مصر، وانتصر في معركة عين جالوت في يوم الجمعة 25 رمضان سنة 658هـ - 6 سبتمبر 1260م وهو يصرخ " وإسلاماهم وإسلاماهم " .. وظهر بلاد الشام من التتار معلناً توحيد مصر والشام، ثم استشهد رحمة الله فكانت مدة حكمه سنة إلا يوم ..

فتذكرني يا مصر هذا القائد العظيم وخذلي عبرة من إنجازاته العظيمة ..

سلام الله عليك يا مصر في دروس وتأملات أخرى ...